العَيْدَرُوسُ الأَكْبَر

فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

سلسلة أعلام حضرموت ١٢

العيدروس الأكبر

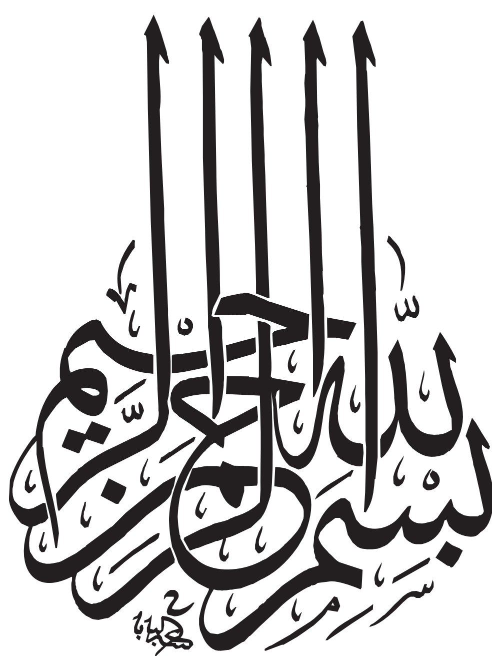
الشيخ عبد الله بن أبي بكر
ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف

(٨١١ - ٨٦٥ هـ)

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

فرع الدراسات وخدمة التراث
أربطة التربية الإسلامية - عدن



المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنّا أَعْطَينَاكَ الكَوْثَر . فصَلِّ لِرَبِّكَ وانحَرْ.

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر﴾

الإهداء..

إلى ذُرّية الإمَـامِ العَيْـدَروس أحْفـاد الطَّـودِ الشّامِخ..

الإمام الذي وضَع بَصمات التربِية والسُّلوك على مُجْمل سَير مَدْرَسة حَضرموت في العَالم..

وإلى الرّاغِبينَ في التَعرّفِ على نَماذِج (السّفِينَة التي مَن رَكِبَها نَجَا ومَن تَخَلّفَ عنها هَلَكَ)..

المُؤلّف

شَاهِدُ الحَالِ

شَرُفَتْ تَرِيمُ بمَجْدِهِ فكأَنَّمَا
بَدْرٌ تَجَلَّى في أَوَانِ تَمَامِهِ

جَمَعَتْ صُفُوفَ الأوليا فتَجَمَّعَتْ
كالكعبةِ الغرّاءِ في أيامِهِ

مِن قانتٍ أو راكعٍ أو ساجدٍ
أو طائفٍ ما حلَّ مِن إحرامِهِ

وصَفَتْ به أقمارُ سعدٍ لو بَدَتْ
في حُنْدُسٍ هتكتْ سوادَ ظلامِهِ

الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير

((تاريخ حضرموت))ص ٧٦٥

المدخل

الحمدلله الذي توّج صدر الأزمنة بدُرر الرّجال وشيوخ الكمال، ورموز الحكمة ينابيع المعرفة أسباب الاتصال والوصال، أئمة الدين وورّاث سيد المرسلين، من اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً ونيةً وهمةً وإرادةً وعبادةً وحسن يقين وتمكين، وعلى الآل الأكابر والصحابة المفاخر، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعدُ فإلى القرّاء الكرام أزفُّ علَماً جديداً من أعلام مدرسة حضرموت وإماماً من أئمة الإسلام العاملين بمنهج دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم العدول الثبوت، رجلٌ جمع الله فيه ما تفرق في إسلامه الأئمة من العلم والعمل والإرادة وقوة الهمة، فكان لأهل عصره كالغيث الهامع والمطر النافع.

تَحْيا بِهِمْ كُلُّ أَرْضٍ يَنـزِلُون بها كأَنَّهُمْ لبِقَاعِ الأرضِ أَمْطَارُ

أَرْسَى القواعد للمريدين، ورفع الهمم للطلاب المتعلمين، وأيقظ عقول الغافلين، للتعرف على عظمة دعوة سيد المرسلين، فأناخت ببابه قوافلُ القاصدين من كل فج، وانتهض به همّ العباد والزهّاد

والروّاد لأفضل شرب وأقوم منهج، وأمات الله به البدع وقمع رؤوسها، وأحيا به السنن وأنبع به غروسها.

لقد كان عصر الإمام العيدروس منعطفاً هاماً من مُنعطفات مدرسة السلف بحضرموت، سواء من حيثيات تثبيت وإرساء القواعد أو من حيث ضوابط الانتشار والخروج بالطريقة إلى سائر الأقطار، فإلى هذه الشخصية الفذّة وبالله التوفيق.

المؤلف

سلسلة النسب

المصطفى صلى الله عليه وسلم

الإمام علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما

الإمام الحسين

الإمام علي زين العابدين

محمد الباقر

جعفر الصادق

علي العريضي

محمد النقيب

عيسى

أحمد المهاجر

عبدالله

علوي

محمد

علوي

علي خالع قسم

محمد صاحب مرباط

علي

محمد الفقيه المقدم

علوي

محمد مولى الدويلة

عبدالرحمن السقاف

أبوبكر السكران

(عبدالله العيدروس)

أبوبكر العدني | شيخ | علوي

التعريف بالإمام العيدروس

هو الإمامُ المجمعُ على إمامته، وسلطان الأولياء المتفق على ولايته، حامل لواء العارفين، ومقيم قواعد علوم المحققين، وزعيم السادة العلويين، وواسطة عقدهم ورائد مظهرهم ومجدهم.

قال في « المشرع » : (العيدروس) لقب إمام الأولياء، وقال بعضهم: (العيتروس) من أسماء الأسد، قال الجوهري : (العترسة) الأخذ بالعنف والشدّة، وهو من أوصاف الأسد، قال العلامة محمد بن عمر بحرق: فلعلّ التاء الفوقانية أُبدلت في (العيدروس) دالاً لاتحاد المخرج، ولا شك أن الأسد مقدَّم السباع، والعيدروس مقدَّم الأولياء في عصره.

ميلاده ونشأته

ولد رضي الله عنه في العشر الأوائل من شهر ذي الحجة سنة ٨١١ ، ولما بَشَّرَ بولادتِه جَدُّه الشيخ عبدالرحمن السقاف قال: هو صوفي وقته، وحفظ القرآن العظيم[١] وأدرك من حياة جدّه الشيخ

(١) تعلم القرآن على يد السيد الصالح محمد بن عمر باعلوي. «تاريخ حضرموت» للحامد ص٧٥٨.

عبدالرحمن ثمان سنوات[1]، وقد نظر إليه وبرّك وقرأ عليه وأخبر بأنه سيكون له شأن.

نشأ نشأةً كريمةً تحت رعايةِ والده الإمام أبي بكر الملقب بالسكران، حيث أحسن الاعتناء بطفولته وغمره بنظره وعطفه، ومنحه من سر رجولته، ومات والده وعمره عشر سنوات، فكفله ورباه واعتنى به عمه الشيخ الإمام المغوار الشيخ عمر المحضار، وأدرجه في سلك أبناء روحه وقلبه، وجعله تحت نظره وسمعه، ورباه مع إخوته تربية الآداب والعمل بما في السنة والكتاب، وأفرغ في جوفه من سرّ الأبوة ما ملأ جوانحه أمناً وإيماناً ويقيناً وإحساناً، يتقلب منذ الصبا بين العلم والعمل به والفهم القرآني والحديثي واللغوي والفقهي والمثابرة في طلبه، وأسلمه إلى نخبة من شيوخ ذلك العصر لينال منهم نصيباً وافراً، ويتدرب بهم ويتعلم من فرائد العلم باطناً وظاهراً، ومن جملة من انتفع بهم من الشيوخ:

١- الفقيه سعيد بن عبدالله باعبيد.

٢- الشيخ العلامة عبدالله بامراون.

٣- العالم الرباني الشيخ إبراهيم باهرمز.

---

(١) والدته بنت أحمد بن محمد بارشيد. المصدر السابق ص٧٥٧.

٤- الشيخ العلاّمة عبدالله باقشير.

وسمع الحديث من عشرات المحدثين والرواة في حضرموت وجهات اليمن، ثم بعد سفره ورحلته إلى الحجاز[١].

وكان له اعتناء خاص « بالتنبيه » و « الخلاصة » و« المنهاج » ، قرأها مراراً قراءة بحث ومراجعة وتدقيق.

وقرأ علوم التصوف على السيد الجليل محمد بن حسن جمل الليل، وعلى أعمامه أحمد وشيخ ومحمد وحسن.

وأخذ علوم العربية عن العلاّمة الأديب أحمد بن محمد بن عبدالله بافضل، وقرأ في النحو والصرف على الشيخ العلاّمة محمد بن علي باعمار وغيرهم.

---

(١) ذكر صاحب « الكواكب الدرية » السيد عيدروس بن حسين بن أحمد العيدروس سفره إلى شمال اليمن والحجاز ص ١٤٩، بينما يذكر السيد صالح الحامد في «تاريخه» أنه لم يُعرف للإمام العيدروس سفر مثل هذا. «تاريخ حضرموت» ص٧٦٥ .

مجاهداته ورياضاته

ورد في كتب التراجم وصف مجاهداته بما مثاله: وأما مجاهداته فبحرٌ لا ساحل له ولواء جهاد حمله كاهله، أدخله عمه وشيخه الشيخ عمر المحضار في المجاهدة وهو صغير، وكان يقول: دخل ابن أخي في المجاهدة وهو ابن سبع سنين يصوم ويفطر على سبع تمرات لا يأكل غيرها، ومضت عليه سنة لم يأكل فيها إلا خمسة أمداد بالمدّ الشرعي.

وقال عن نفسه: كنت في بدايتي أطالع كتب الصوفية وأختبر نفسي بمجاهداتهم، فكنت أُجوّع نفسي كثيراً، وهجرتُ النوم أكثر من عشرين سنة[1].

ولازم عمّه الشيخ عمر المحضار في طريقة السلوك وتدرج في مراتبها ثم زوّجه الشيخ عمر المحضار بابنته وأحلّه محل مهجته، وقال: أزوّجه بابنتي ولو بالأدنى ولا أزوجها غيره ولو أتاني على الدنيا، وألبسه خرقة التصوف وحكّمه التحكيم الشريف وانطوى انطواءً تاماً في عمه عمر المحضار ونال منه جملة علوم الباطن وسر علوم الظاهر، وأقعده على منصة الخلافة بجدارة حتى بلغ رتبة

---

(١) المصدر السابق.

المشايخ الأكابر وصار في رتبة يُعقد عليها بالخناصر، واعترف له بالكمال كل متقدم ومعاصر[1].

توليه مرتبة النقابة بعد وفاة عمه

قال صاحب « الكواكب الدريّة » : وكان -أي الشيخ العيدروس- يحب الخمول، إذ به يحصل الوصول، وكان الشيخ الأكبر عمه الشيخ عمر المحضار شيخاً على ذوي القدر الجلي ونقيباً على بني علوي، فانتقل إلى رحمة رب العالمين وصاحب الترجمة ابن خمس وعشرين ، فاجتمع رأي الأشراف إلى أن يذهبوا إلى الإمام الجليل محمد بن حسن جمل الليل -وكان مقيماً برُوغَة- فاعتذر عن نفسه ، فقالوا: قدِّم علينا من ترضاه لذلك منا، فصلى صلاة الاستخارة وطلب من الله أن يوفقه لما يختاره فشرح الله صدره بتقديم العيدروس، فقام إليه وأمسك بيديه وقال له: أنت المقدم على الجميع والمتكلم على كل شريف ووضيع ، فاعتذر لصغر سنه وضعف قيامه لا سيما وجود أعمامه، فقاموا كلهم إليه وأَلَحُّوا في

(١) « الكواكب الدرية » ص١٥٠-١٥١.

ذلك عليه، فحينئذ وقع الاتفاق على تقديمه وانتشر في الآفاق صيته، وجلس للإقراء والتدريس والاشتغال بأنفس نفيس.

ارتقاؤه منصة التدريس والتسليك للمريدين

ظهر الإمام العيدروس علماً في منصة التدريس، فكان إذا تكل م في التفسير فهو حامل رايته، وفي الحديث فهو ذو روايته، وفي الفقه فمدرك غايته، أو في غير ذلك فالكل مستمع لقراءته ،وإذا ما خاض في علوم التصوف أبكى الحاضرين بقراءته، وج اء في طري ق الله بالأسلوب العجيب والمنهج الغريب والمسلك القريب، جم ع ب ين العلم والعمل والحال والهمة والمقال كما وص فه الش يخ الك بير محمد بن أحمد باقشير:

لَهُ كُلُّ قَلْ بٍ بالولاي ةِ ش اهدٌ   وكُلُّ فؤادٍ مِ ن مَحَبَّتِ هِ مَلِ يْ

فللّهِ ما أعل ى مراتِ بُ فَضْ لِهِ   وأَجْزَلَ ما أَعْطَى وأَوْسَع ما وَلِي

فنِعْمَ الفتى لا شَكَّ في عُظْمِ شَأْنِهِ   فما شِئْتَ في الفضلِ الذي ناله قُلِ

جملة من الآخذين عنه

انتفع بالإمام العيدروس جملة من الأعيان الفضلاء والمجتهدين النبلاء ومنهم:

١- أخوه الشيخ علي بن أبي بكر.

٢- الشيخ عمر بن عبدالرحمن صاحب الحمرا.

٣- الشيخ عبدالله بن أحمد باكثير.

٤- الشيخ أحمد قسم ابن علوي الشيبة.

٥- الشيخ محمد بن عفيف الهجراني.

٦- ابنه الشيخ أبوبكر العدني ابن عبدالله العيدروس.

٧- ابنه الشيخ حسين بن عبد الله العيدروس.

٨- ابنه الشيخ شيخ بن عبدالله العيدروس.

قال في « الكواكب الدريّة » : وكان الإمام العارف بالله تعالى محمد بن علي صاحب عيديد وتاج العابدين سعد بن علي والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير مع الاتفاق على جلالة قدرهم وعلو منصبهم ممن لازم صحبته وأخذ عنه طريقته لعلمهم بعلوّ شأنه وارتفاع مقامه ومكانه[1].

(١) المصدر السابق ص١٥٢ .

آراؤه التربوية والعلمية

يقول الإمام العيدروس: وبعدُ فليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة، وقد شرح ذلك كله سيد المصنفين وبقية المجتهدين حجة الإسلام الغزالي في كتابه أعجوبة الزمان العظيم الشان الملقب « إحياء علوم الدين » الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً واعتباراً واعتقاداً[١].

وكان رضي الله عنه ينهى أصحابه عن مطالعة «الفتوحات المكية» و«الفصوص» ويأمرهم بحسن الظن في مؤلفها واعتقاد أنه من أكابر الأولياء العارفين، وماذاك إلاّ لعلوها عن فهم العموم وغموض معانيها عن كثير من الفهوم، بخلاف كتب حجة الإسلام فإنها تصل إلى فهم معانيها الأفهام ويشترك في الوصول إلى العلم بها الخاص والعام[٢].

ويقول رضي الله عنه: اعلم أن الطريقة الأخذ بالتقوى والحقيقة الوصول إلى المقصد ومشاهدة نور التجلي، وحقيقة المقامات منازل القلوب، وأولها امتثال الأوامر وترك المناهي، والآخر معرفة عيوب

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٣.

(٢) المصدر السابق.

النفس وتنقيتها من الصفات الذميمة والتحلي بالصفات الحميدة وذكر المولى.

وعيوب النفس كثيرة، وأعظمها إعجاب المرء بما يفعل من الطاعات، وشرط السالك أن لا يصعد من مقام إلى مقام حتى يستوفي حد المقام الأول.

وأما الأحوال فهي ما نزل على القلب من طرب أو قبض أو بسط أو شوق أو ذوق أو هيبة أو أنس أو وجد أو تواجد أو جمع أو فرق أو فناء أو بقاء أو غيبة أو سكر أو صحو أو شرب معنوي كما يجدونه من ثمرات القرب ونور التجلي ونتائج المكاشفات أو ريّ أو محو أو إثبات أو تستر أو تجلي أو حضور أو محاضرة أو لوائح أو لوامع أو طوالع أو تكوين أو تمكين أو غيره.

وأما الأنفاس وترويح القلب بلطائف الغيوب[١] ، وصاحب الأنفاس أرق وأصفى من صاحب الأحوال، وصاحب الأحوال أرق وأصفى من صاحب المقامات، وصاحب المقامات أرق وأصفى من العابد، والعابد على العلم الظاهر أرق وأصفى من العوام العابدين بالرخص، وصاحب الرخص أرق وأصفى من المهمل.

---

(١) كذا في الأصل ، بلا جواب شرط.

والكامل من اتصف بالجميع، وهم العلماء بـ الله وبـ أوامر الله الجامعين بين الشريعة والطريقة والحقيقة، أهل الوراثة، العلماء ورثة الأنبياء[1] .

آراؤه في علوم القوم

ومن علوم القوم: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، علـ ـم اليقين لأرباب العقول، وعين اليقين لأهل العلوم، وحق اليقين لأهل المعارف والمشاهدات.

والمشاهدات كثيرة، ومنها مشاهدة القلب على ما كان الغالـ ـب عليه من مشاهدة علم وأحوال أو مكاشفات.

(لطيفة) القلب مجمع الخِصَال الحميدة، والروح لطيفـ ـة القلـ ـب الروحاني، ولها ترقٍّ معنويٌّ في حال النوم ومفارقة البدن ثم الرجوع إليه، وأن الإنسان مركب من (الروح والجسد)؛ لأن الله تعالى سخر هذه (الجملة) بعضها لبعض، والحشر يكون للجملـ ـة، والثـ ـواب والعقاب للجملة، والأرواح مخلوقة، والروح معدن الخير، والـ ـنفس معدن الشر، والعقل حبس الروح، والهوى حبس النفس، والسر نور

(١) المصدر السابق ص٣٦.

معنوي محل المشاهدة، والأرواح محل المحبة والقلوب محلّ المعارف.

وقال بعض العارفين: السر ما لك عليه إشراف، وسر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق، والسر أشرف من الروح، والروح أشرف من القلب، وصدور الأحرار قبور الأسرار[1].

آراؤه في نموذج سلوك طريق القوم

أول طريق القوم التوبة، وهي أول المنازل والمقامات، ولها ثلاثة شروط:

١- الندم على ما عمل من الذنوب.

٢- ترك المعصية في الحال.

٣- العزم على أن لا يعود أبداً.

وإن تعلق به حق آدمي فلها شرط رابع وهو الخروج من الحقوق، فمن تاب ثم نقض توبته ثم تاب قبلت منه توبته ثانياً وثالثاً إلى غير نهاية ما دامت لتوبته الشرائط المذكورة.

(١) المصدر السابق ص ٣٧.

آراؤه في المجاهدة

المجاهدة: الجوع ، والصمت ، والعزلة ، والسهر، وتلاوة القرآن.

آراؤه في التقوى

أصل التقوى اتقاء الشرك، ثم من بعده اتقاء المعاصي، ثم من بعده اتقاء الشهوات، ثم من بعده اتقاء الفضلات.

آراؤه في الخوف والرجاء

الخوف ترك معصية الله مخافة عقاب الله.

والرجاء حسن الطاعة طمعاً في نيل الثواب.

والرجاء الكاذب التمادي في الذنب.

والتمني الخوف، والرجاء من شروط الإيمان، ومن زال الخـ ـوف منه والرجاء خرب قلبه.

آراؤه في الحزن المحمود

وهو حزن الآخرة والندم على الذنوب، والحزن فضيلة وزيـ ـادة للمؤمن ما لم يكن بسبب معصية.

آراؤه في الخشوع

حقيقة الخشوع خشوع القلب، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في المصلي: « لو خَشَعَ قلبه لخشعتْ جوارحُه » ، ومنه بعده عن الذنوب، وطاعة علام الغيوب.

آراؤه في مخالفة النفس

وأقوى أركان الوصول إلى الله مخالفة النفس، وأرفع الدرجات عند الله مخالفة النفس. والنفس على ثلاثة أوجه: مطمئنة، ولوامة، وأمّارة.

١- فالمطمئنة: هي التي اطمأنت بطاعة الله تعالى ولا تطلب مخالفة أمره.

٢- واللوامة: هي التي تلوم الرجل على الذنوب وتحمله على التوبة والإنابة.

٣- والأمارة: هي التي تأمر بالسوء، وهي المهلكة لصاحبها، وهي أعظم حجاب بين العبد وربه.

وعند العارفين دواء النفس مخالفتها، وينبغي للطالب أن يخالف نفسه ولا يقبل منها شيئا إلا ما يوافق رضا الله تعالى.

آراؤه في الحسد والغيبة

الحسد أن يطلب الشخص زوال نعمة كانت عند أحد من المسلمين، والحسد أشدّ شيء يبعد صاحبه عن الله؛ لأنه لا يرضى بقضاء الله تعالى، وعند العارفين: الحسود لا يسود، والغبطة جائزة، وهو أن يرى الرجلُ أحداً في صلاح أو خير أو مال، فيتمنى أن يكون مثله من غير أن يتمنى زوال تلك النعمة عن ذلك الشخص.

والغِيبة أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره ولو كان فيه، فإن لم يكن فيه فهو بهتان، والبهتان أشدّ من الغيبة، وكلاهما لا يرتفعان بالتوبة، بل التوبة أن يستحلل منه ثم يتوب ويستغفر له ويدعو.

آراؤه في القناعة

القناعة عند العارفين الاكتفاء بالموجود وزوال الطمع عن المفقود، وقال العارفون: مَن قَنِعَ استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه.

آراؤه في التوكل

المتوكل يكل أمره إلى الله تعالى ويرضى بما يجري عليه من قضاء الله تعالى وقدره، والتوكل محله القلب، والحركة في الأسباب لا

تنافي التوكل بعد تحقق العبد أن التقدير من قبل الله سبحانه وتعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن اتفق شيء فبتيسيره.

وشروط التوكل عند العارفين: طرح البدن في العبودية. وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة بالكفاية، فإن أُعطي شكر وإن مُنع صبر.

وكان العارفون لا تفارقهم صحبةُ إبرةٍ وخيوطٍ وركوةٍ ومقراضٍ وشيءٍ من الزاد مع تعلق القلب بالله والتوكل عليه ومعرفة الأشياء منه وإليه.

وينبغي أن لا يخاف المتوكل إلاّ الله تعالى، ولو انقطع المطر سنين لا يهتم لأجل رزق، وإن اهتم لسد فاقته ولعائلته كان همه كفارة لذنوبه، وإن انقطع المطر أيضاً سأل الرحمة من الله تعالى للناس، فإنّ انقطاع المطر عذاب من الله تعالى للناس.

آراؤه في الشكر

حقيقة الشكر عند أهل الحقائق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وقد وصف الله نفسه بأنه شكور، ومعناه عطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير.

وإذا اشْتَقْتَ إلى أنموذجٍ من حلاوة الشكر فانظر إلى من هو دونك في جميع الأمور، ولا تنظر إلى من هو فوقك أصلاً، واعترافُك بالعجز عن الشكرِ شكرٌ.

آراؤه في اليقين

اليقين عند العارفين هو قوة الإيمان، وقال بعضهم: هو المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ثم الإخلاص ثم المشاهدة ثم الطاعة، ونتيجته امتثال الأوامر واجتناب المناهي واتباع الكتاب والسنة.

آراؤه في الصبر

الصبر عند العارفين التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع الغصص وإظهار الغنى مع طول الفقر بساحات المعيشة.

وعند العارفين: تجرع المرارة من غير تعبّس، وأفضل الصبر صبر العبد على ترك الذنوب وامتثال الأوامر من الطاعات ومتابعة الكتاب والسنة.

آراؤه في المراقبة

المراقبة علم باطلاع الحق سبحانه وتعالى عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، ومن له هذا العلم فليحفظ أفعاله وأقواله وما يجري في خاطره عما لا يرضي الله، ولينظر على الدوام جريان خطاب الله تعالى معه من الأمر والنهي، وقال العارفون: إذا جلستَ للناسِ فكن واعظاً لقلبك ولنفسك، ولا يغرَّنَّك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيبُ باطنِك.

آراؤه في الرضى

قال بعضهم: هو كسبي، وقال آخرون: هو شيء يحل في القلب كالأحوال، والرضى ترك الاعتراض على تقدير الله تعالى.

آراؤه في العبودية

العبودية عند العارفين أربعة أشياء: الوفاء بالعهود ، والحفظ للحدود ، والرضاء بالموجود ، والصبر عن المفقود.

آراؤه في الإرادة

الإرادة ترك ما عليه العادة من اتباع الشهوات، وجمع المال، وحب الدنيا وغير ذلك. وحقيقة الإرادة نهوض القلب في طلب الحق إلى الله سبحانه وتعالى.

آراؤه في الاستقامة

الاستقامة الثبات على الصراط المستقيم، والصراط هو اتباع الكتاب والسنة والتمسك بالآداب الشرعية وتقوى الله ظاهراً وباطناً من غير تزلزل، فمن علامات أهل البدايات أن لا تُكدِّر معاملتهم فترةٌ. ومن علامات أهل التوسط أن لا تُصَعِّب منازلاتهم ومواصلاتهم وقفةٌ. ومن علامات أهل النهايات أن لا تتداخل معهم حجةٌ.

قال بعض العارفين: كن صاحب استقامة لا طالب كرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة.

آراؤه في الإخلاص

الإخلاص إفراد الحق في الطاعة بالقصد، وهو أن تريد بطاعتك التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنعٍ للمخلوق واكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق . قال العارفون: لا يعرف الرياء إلا مخلص، والصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه.

آراؤه في الحيَاء

قسّم العارفون الحياء إلى وجوه:

١- حياء الجناية، كحياء آدم عليه السلام.

٢- حياء التقصير، وهو حياء الملائكة، يقولون: ما عبدناك حق عبادتك.

٣- حياء الإجلال، كإسرافيل عليه السلام حين تسربل بجناحه حياء من الله تعالى.

٤- حياء الكرم: كحياء رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يستحيي من أضيافه أن يخرجوا فقال تعالى: ﴿ ولا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾.

٥- حياء الحشمة: كحياء علي رضي الله عنه لما استحى أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم المذي لمكانِ فاطمة.

٦- حياء الاستحضار: كحياء موسى عليه السلام حين قال لربه: إني لَتَعْرِضُ لي الحاجةُ فأستحيِي أن أسألك، قال تعالى: سلني حتى ماء عجينك وعلف دوابك.

٧- حياء الإعزاز: وهو حياء الرب سبحانه يدفع إلى العبد كتاباً مختوماً بعد ما يعبر الصراط، فإذا فيه فعلتَ ما فعلتَ فاستحييتُ أن أظهر عليك فاذهب فقد غفرت لك[1].

آراؤه في الحريّة

الحريّة في اللغة الخلوص، وحرية الذات أي خلوصها من الأشياء المذمومة، وعند أهل الحقائق عبارة عن صفاء الذات من حب الدنيا، وحب الجاه، أو الشهرة وتعلق الخاطر بكل ما سوى الله تعالى.

---

(١) قلت والله أعلم: ولعل منه حديث «إن الله يستحيي أن يردّ يد عبده صِفرا».

آراؤه في الذكر

الذكر على نوعين: ذكر اللسان ثم ذكر القلب، واعلم أنه أول الطريق، ومبدؤه ذكر اللسان، ثم ذكر القلب تكلفاً، ثم ذكر القلب طبعاً، ثم استيلاء المذكور على القلب طبعاً، وإنما الهدى بعده، أعني هدى الله.

آراؤه في الفتوّة

قال العارفون: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان، وقالوا أيضاً: الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك، والمروءة شعبة من الفتوّة.

آراؤه في الفراسة

أصل الفراسة قوة الإيمان، وفي الحديث: « اتّقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ، قال العارفون: الفراسة سواطع أنوار الغيب في القلوب وتمكين معرفة لمعاني السرائر من غيب إلى غيب، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إيّاها.

قال بعض العارفين: مَن غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهَرَه باتباع السنّة وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته[١].

آراؤه في الخلق الحسن

أن تحسن إلى من يؤذيك وترحم خلق الله حتى عدوك، وأقل مراتب حسن الخلق احتمال الأذى، وحسن الخلق نصف الإيمان.

آراؤه في الجود والسخاء

السخاء عند العارفين هو المرتبة الأولى، ثم الجود بعده، ثم الإيثار، فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه الأقل فهو صاحب جود، ومن أعطى جميع ماله وصبر على الجوع فهو صاحب إيثار.

---

(١) « الكواكب الدرية » ص٤٥.

آراؤه في الغيرة

الغيرة في العبد للحق هو أن لا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير الحق سبحانه وتعالى.

وإذا وُصف الحق سبحانه بالغيرة فمعناه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيما هو حق له من طاعة عبده.

آراؤه في الولاية

علامة الولي ثلاثة أشياء: شغله بالله ، وفراره إلى الله ، وهّمه بالله.

آراؤه في الدعاء

قال صلى الله عليه وسلم: « الدعاء مخ العبادة » ، والدعاء إظهار فقه العبودية.

وطائفة قالوا بالسكوت والجمود تحت جريان الحكم ثم الرضى بما سبق من اختيار الحق سبحانه وتعالى أولى.

آراؤه في الفقر

الفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء واختيار الحق سبحانه وتعالى لخواصه من الأنبياء والأتقياء والفقراء، صفوة عباده ومواضع أسراره.

وقال العارفون: تكلم الناس في الفقر والغنى أيهما أفضل؟ فجملة من العارفين قالوا: الأفضل أن يعطى الرجل كفايته ثم يصان فيه.

آراؤه في التصوف

الصوفي منسوب إلى الصوف، أعني لابس الصوف، والمراد به الآن الجماعة المعروفة بالتعبد والمشتغلة بتصفية القلوب، وحقيقة التصوف أن يُميتك الحق عنك ويُحْيِيَكَ به، وعند العارفين: التصوف الدخول في كل خُلُقٍ سَنِيّ والخروج من كل خلق دَنِيّ، وعلامة الصوفي الكبير أن يكون كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح.

آراؤه في الآداب

حقيقة الآداب اجتماع خصال الخير، فالأديب الذي اجتمعت فيه خصال الخير، والعبد بطاعته يصل إلى الجنة وبأدبه في طاعته يصل إلى الله.

قال بعض العارفين: أدب أهل الدنيا في الفصاحة والبلاغة بحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب.

وأدب أهل الآخرة في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظها عن الشهوات.

وأدب أهل الخصوصية في طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب، وأوقات الحضور في مقامات القرب.

آراؤه في السفر

السفر على قسمين: سفر البدن: وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة. وسفر القلب: وهو الارتقاء من صفة إلى صفة.

آراؤه في الصحبة

الصحبة على ثلاثة أقسام: صحبة مَن فوقك، وهي في الحقيقة سلامة، وصحبة من دونك، وهي تقضي على المتبوع الإيثار والشفقة والفتوة.

آراؤه في الأحوال عند الموت

بعضهم الغالب عليه الهيبة، وبعضهم الغالب عليه الرجاء، ومنهم من كشف له في تلك الحالة ما أوجب له السكون وجميل الشفقة.

آراؤه في المعرفة

العارف من عرف الحق سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله في معاملاته، ثم تنقى من أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله بجميع إقباله وصدق الله في جميع أحواله، وانقطع عن هواجس نفسه، فلا يصغي بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار عن الخلق أجنبيا وعن آفات نفسه بَرِيئا وعن المساكنات والملاحظات نقيا، ودام في السر مع الله تعالى مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه فصار مُحدَّثاً من قبل الحق

سبحانه، بتعريف مناجاته وأسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره؛ سمّي عند ذلك عارفاً، وتسمّى حالته معرفة ، قال ذو النون رحمه الله: علامة العارف ثلاثة:

١- لا يطفئ نور معرفته نور ورعه.

٢- ولا يعتقد باطناً من الشريعة والعلم بما ينقص عليه ظاهراً من الحكمة، أي: لا شيء يخالف الشريعة.

٣- ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله.

آراؤه في المحبة

المحبة تكون من الله للعبد، وقد تكون من العبد لله، فأما محبة الله تعالى للعبد ففي إرادته لإنعامٍ مخصوص، وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تَلْطُفُ عن العبارة، وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم وإيثار رضاه وقلّة الصبر عنه والاحتياج إليه، وعدم الفرار منه ووجود الاستئناس بدوام ذكره بقلبه، والشوق أزيد من المحبة، والاشتياق أزيد من الشوق، والشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وهو -أي الشوق- يسكن باللقاء والرؤية، والاشتياق لا يزول باللقاء.

آراؤه في حفظ قلوب المشايخ

لازم على المريد حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم، وعلى المريد حفظ قلب شيخه وترك الاعتراض عليه، وحَمْلَهُ أفعالَه وأقوالَه على وجه جميل، فمن صحب شيخا ثم اعترضَ عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة، قال العارفون: من قال لأستاذه وشيخه: (لِـمَ ؟) لم يُفلح.

آراؤه في كرامات الأولياء

ظهور كرامات الأولياء جائز، فلا شيء يمنع من جوازه، وظهور الكرامات على أمته صدق، ولا تكون الكرامات لجميع الأوليـاء، ومن كان فيه أوصاف الأولياء ولم تظهر منه كرامة لم يقـدح في ولايته، فالأولياء مختلفون في ظهورها، وأكثرهم يخفونها، وبعضـهم يظهرونها، ليظهر صدقهم وتصان طريقتهم، ليقتدوا بهم ويتوبوا من المعاصي ببركتهم.

آراؤه في وصايا العارفين للمريدين

ينبغي للمريد أن يحصل شيئا من العلوم من كتب الفقه مثل «التنبيه» لأبي إسحاق ومنهاج النووي، ومن كتب السلوك كتب الغزالي كـ «منهاج العابدين» و«الأربعين الأصل» و«إحياء علوم الدين» و«نشر المحاسن» أو «الإرشاد» لليافعي، ليصح به اعتقاده وعبادته ويقلد أحدا من الفقهاء في الفقه من أصحاب الشافعي من الأئمة المذكورين، وليترك الرخص إلا عند الضرورة، وليقلد شيخا في سلوك طريق الجنة، وليعرض على شيخه ما يجري في خاطره وما يرى في نومه ليميز له الخاطر الرحماني من الخاطر الشيطاني، ويشرح له المقامات وعلومها والعمل بما فيها.

آراؤه في اللباس

اعلم أن اجتهادهم في اللباس مختلف، فمنهم من يلبس ما يجد من غير تكلف، ويأمر المريدين أيضا أن يلبسوا ما يجدونه. ومنهم من يكره أكثر من ثوب واحد، ومنهم من يجيز ثوبين للاحتياط للطهارة، أي: إذا تنجس ثوب لبس الآخر.

آراؤه في السماع

اعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة النغم وللتلذذ إذا لم يسمع محظورا ولم يسمع على مذموم في الشرع مباحٌ في الجملة، ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها.

وفيه تصانيف للعلماء كثيرة، وقال الإمام حجة الإسلام أبوحامد محمد بن محمد الغزالي في كتاب « إحياء علوم الدين » في آخر كتاب السماع والوجد: إن السماع قد يكون حراماً محضاً، وقد يكون مباحاً، وقد يكون مستحباً، وقد يكون مكروهاً.

أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان، ومن غلبت عليه شهوة الدنيا فلا يحرك السماع إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة.

وأما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكن يتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو.

وأما المباح فهو لمن لا حظ له من التلذذ بالصوت الحسن.

وأما المستحب فهو لمن غلبت عليه محبة الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة.

بعض من وصايا ومكاتبات الإمام العيدروس

جمع السيد الشريف عيدروس بن حسين بن أحمد العيدروس نبذا هامة في كتابه « الكواكب الدرية » من وصايا ومكاتبات سيدنا الإمام العيدروس، والمجال هنا لا يتسع لنقل كافة ما كتب وجمع منها، وإنما نكتفي بأخذ لوامع منها على سبيل الاستفادة، وخاصة أن محور مواضيع الوصايا والمكاتبات يدور حول سير المريد إلى الله ووسائل الوصول من طريق المجاهدة.

تعريف بالسلوك

السلوك دخول الخلوة بالعلم والعمل، وهو قراءة « التنبيه » والعمل بما فيه وقراءة « الدرر » و« الأربعين الأصل » للغزالي، والعمل بما فيه على قدر الطاقة والإمكان، وإلاّ قراءة ربع « التنبيه » لأبي إسحاق والعمل بما فيه، وقراءة « بداية الهداية » والعمل بما فيها على قدر الطاقة والإمكان.

وبعد ذلك يدخل الخلوة بإشارة شيخ عارف بصير عالم عاقل ناقل يعرف السلوك والوصل، ويعرف من الشريعة والطريقة والحقيقة ما قسم له.

والشريعة والطريقة والحقيقة واحد كما قال العلماء: الشريعة كاللبن، والطريقة كالزَّبَد، والحقيقة كالسمن[1] .

فليزيّن الطالب ظاهره بلباس الشريعة حتى يقع نور ظاهره –أي الشرع– في قلبه ويزيل عن قلبه الظلمة الطبيعية، ويمكن للطريقة النزول في قلبه، والطريقة العمل الصالح والأخذ بالتقوى والعزلة والجوع والصمت والذكر والسهر والوضوء بعد الفروض وقطع منازل ومقامات.

والعارفون مختلفون، فكل شيخ وضع « طريقة » –أي: في التسليك– عما هو عليه من الحال والمقام، فبعضهم وضع طريقة الجلوس مع الناس وتربيتهم، وبعضهم اختار طريقة الوحدة، وبعضهم طريقه كثرة الأوراد من صوم وصلاة وغيرهما من الطاعات، وبعضهم طريقته خدمة الناس وحمل الحطب والحشيش على ظهره ويبيعه في السوق ويتصدق بثمنه، وبعضهم طريقه اختيار ما اتفق له في جميع الأحوال فيلبس ما وجد ويأكل ما وجد وهكذا.

---

(١) المصدر السابق ص٦٠ .

وأما « الحقيقة » فهي الوصول إلى المقصد ومشاهدة نور التجلي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لحارثة: لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ فأجاب: عزفتْ نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حَجَرُها ومدرُها وذهبُها وفضتُها، وأظماتُ نهاري وأسهرتُ ليلي.. الحديث، فتمسكه بدين الله وقيامه بأمر شريعته وأخذه بالأحوط والعزيمة بسهره وعزف نفسه عن المشتهبات طريقة، وانكشافه عن أحوال الآخرة حقيقةٌ[١] .

تعريف بخلوة الأربعينية

ليس مطلوب القوم العارفين من الأربعين شيئاً مخصوصاً لا يطلبونه في غيرها؛ لكن لما وقفوا على كتاب الله وحديث رسول الله وقد خصّ الله الأربعين بالذكر في قصة موسى عليه السلام: ﴿وواعَدْنا مُوسى ثلاثينَ ليلةً وأَتْمَمْناها بعَشْرٍ فتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أربعينَ ليلةً﴾ وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَن أخلص للهِ أربعينَ صباحاً ظهرتْ ينابيعُ الحكمةِ من قَلْبِهِ على لسانِه » ؛ أَحَبُّوا

(١) المصدر السابق ص٦٢.

تقييدَ الوقت بالأربعين رجاء أن ينسحب حكم الأربعين على جميع زمانهم، فيكونون في جميع أوقاتهم كهيئتهم في الأربعين.

ويلوح في الأربعين للعارفين والمشايخ المحققين سرٌّ، ومعنى سرِّ ذلك أن الله أمر بتكوين آدم من تراب فخمّر طينة آدم بيده أربعين صباحاً، وفي هذا الباب استطرادٌ واسعٌ لم نذكره هنا طلباً للاختصار[1].

وقد غلط في طريق الخلوة والأربعينية قومٌ وحرّفوا الكلام عن مواضعه، ودخل عليهم الشيطان وفتح لهم باب الغرور، ودخلوا الخلوة على غير صراط مستقيم، وعلى قصد ذميم، والسبب أنهم سمعوا أن المشايخ والصوفية كانت لهم خلوات وظهرت لهم وقائع وكشوفات بغرائب وعجائب فيه، فدخلوا الخلوة لطلب ذلك، وهذا عين الاعتلال، ومن دخل الخلوة معتلاًّ في خلوته ضعفت عليه الفتوحات والمنامات الصادقات[2].

---

(١) المصدر السابق ص٦٦.

(٢) حذفنا جملاً وعباراتٍ تفصيلية للموضوع، المصدر السابق ص٦٨.

والدواء كله في متابعة الشرع في جميع معاملاته وحركاته وسكناته وفي جميع أحواله في نيته واعتقاده[١].

كيفية الدخول في الأربعينية

روي أن داود عليه السلام لما ابتُلِيَ بالذنب خر ساجداً أربعين يوماً وليلة حتى أتاه الغفران من الرحمن، وقد أجمع العارفون وجميع العلماء والصوفية أن الوحدة والعزلة مِلاك الأمر ومتمسَّكُ أربابِ الصدق، فمن استمرت أوقاته على ذلك فجميع عمره خلوة، وهي السلامة العظمى في دينه، وإن لم يتيسر له ذلك وكان مبتلىً بنفسه أولاً ثم بالأهل ثم بالأولاد فليجعل لنفسه من ذلك نصيباً، كما قيل: ما أخلص عبدٌ لله تعالى أربعين صباحاً إلا أَنْبَتَ اللهُ الحكمة في قلبه وزهَّده في الدنيا ورغَّبَه في الآخرة وبصَّره داء الدنيا ودواءها[٢].

ومن شرائط الخلوة أن يكون في خلوته جاعلاً وقته شيئا واحدا موهوبا لله تعالى بإدامة فعل الرضى، إما تلاوة أو ذكر أو صلاة أو

(١) المصدر السابق ص ٦٩.

(٢) المصدر السابق ص٧٦ ، وفي الباب إضافات حُذفت، وهي خاصة بمراتب الدخول للأربعينية إذا أراد.

مراقبة، فإذا فتر عن ذلك ينام ويلازم في خلوته إدامة الوضوء، ولا ينام إلا من ضرورة أو غلبة، وإذا كان ذاكر الله بكلمة « لا إله إلا الله » وسأم الذكر باللسان يقولها بقلبه ويمدّها مع النظر إلى قِدَم الحقّ، فأثبتْه وأبطِلْ ما سواه.

وأما قوت من يدخل الأربعينية والخلوة فالأولى أن يقنع بالخبز والملح، ويتناول كل ليلة رطلا واحدا يتناوله بعد العِشاء، وإن قسّمه نصفين نصفا يُفطر عليه ونصفا آخر الليل، وإحياؤه بالذكر والصلاة، وإن لم يصبر على ترك الإدام تناول الإدام، وإن كان الإدام يقوم مقام الخبز ينقص من الخبز بقدر ذلك، وإن أراد التقليل يزن قوّته بنوى –أي: بحجم– دقل خفيف، وينقص كل ليلة حبة من نوى ذلك التمر[1].

وقد اتفق جميع مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء: قلة الطعام، وقلة المنام، وقلة الكلام، واعتزال الأنام.

---

(١) وفي الباب إضافات وتفصيلات هامة لأهل ذلك المقام. المصدر السابق ص٧٩ – ٨٠.

وقد قيل للسيد الجليل سهل بن عبدالله: أين يذهب الجوع في حق من يأكل في الأربعين أكله، قال: يطفئه النور. وقال غيره: الفرح بالله يطفئ لهب الجوع.

ومن وصاياه

لا تحسب السعادات والشقاوات والمنازل والدرجات بمدح الخلق وذمّهم، بل المنازل والدرجات بمدح الله عز وجل وكتابه العزيز، والبعد والشقاوات بذمه في كتابه أيضاً، وكذلك بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث النبوية، وذمه أيضا في أحاديث، ومدح الأولياء وذمهم في آثارهم وأقوالهم، فلا تسمع أقوال المتكلمين بل اسمع كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وأوليائه فقط.

ومن وصاياه

لا تثق بصداقة المتعلقين وثق بصداقة الصادقين، واقبل العذر من المعتذرين كما قال بعضهم:

اِقْبَلْ معاذيرَ مَن يأتيك معتذراً   إنْ بَرَّ عندك فيما قال أو فَجَرا

فقد أَطَاعَك مَن يُرضيك ظاهرُه   وقد أَحَبَّك من يَعصِيكَ مُستترا

ومن وصاياه

اتّخِذِ الناس جميعا أصدقاء ولا تعادِ أحداً، والناس ثلاثة أصناف: محبين، ومتوسطين، ومناكرين. أما المحبون فمودتهم سيادة. وأما المتوسطون فصداقتهم معاونة. وأما المنكرون فكفايتهم واحتمال أذاهم ومداراتهم أنفع.

ومن وصاياه

لا تكثر مخالطة النساء المحظورات ولو على صدق نية.

ومن وصاياه

أَحْسِنْ إلى من أساء إليك تجد خير الدنيا والآخرة، واقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وآل بيته وأوليائه العارفين، والدليل في ذلك قوله عز وجل: ﴿ خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عن الجاهلين ﴾.

ومن وصاياه

كن أنصح الناس للناس خاصَّهم وعامَّهم تكن عندهم أعز الناس.

ومن وصاياه

ستر جميع العيوب والشرور في الصمت عن جميع الشرور.

ومن وصاياه

عليك بحسن الظن في كتاب الله العزيز وفي رحمة الله تعالى وفضله وعفوه وغفرانه وتجاوزه وستره ولطفه ورأفته وصبره على خلقه وحلمه وإحسانه.

ثم عليك بحسن الظن والمتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وصحابته.

وعليك بحسن الظن في أولياء الله خاصّة وعامة، ولا تغرك كثرة الآراء والخلاف من حيث حب الدنيا والمحاسدات، فإن كل مسلمٍ وليٌّ فكيف أهل الخصوص؟ وعليك بسلامة الصدر من الشرور، وعلامة الشرور الإصرار على الغيبة والبغي والحقد والحسد والكبر

واتباع شهوة الفرج وإفراط الغضب والبخل وسوء الظن مع الكبر والازدراء.

ومن وصاياه

عليك بالصمت، من أراد السلامة في جميع الأحوال في الدين والدنيا والآخرة فعليه بالصمت إلا فيما لابد منه، فجمال العقلاء الصمت والصدق. وباطنه وسره وعلنه ولبه كتمان الأسرار في الدين والدنيا، وما فضل بني آدم إلا بالعقل[1].

ومن وصاياه

لا تجادل أهل الحقد والمحاسدات ولا تطمع في رضاهم أصلاً، فإدراك رضاهم مستحيل.

ومن وصاياه

لا تطمع في محبة أهل الجاهات والرياسات والمحاسدات خصوصاً إذا كانت العقول ضعيفة ولا يعرفون العلوم والمعقولات ولا

(١) المصدر السابق ص ٨٣ ، وفي العقل زيادة استطراد.

يطالعون كتب العلم النافعة كالكتب الغزاليات، فإنهم إذا كانوا بهذا الوصف يغلب عليهم الصفات البهيميات، والصفات السبعيات، والصفات الشيطانيات، والصفات المعجونة في الطينة في ابتداء الصور الآدميات، ذلك تقدير العزيز العليم.

مقولاته في كتاب « إحياء علوم الدين »

آداب الشريعة ولبابُها وآداب الطريقة ولبّ لبابها ومعرفة الحقيقة وأثمارها ولبّ لباب نهايتها مشروحٌ في « الإحياء » ، بل جميع العلوم ظاهرها وباطنها في طيّ مطوي أسرارها ، وهي أعجوبة الزمان عند الصوفية والفقهاء.

ما يطالع « الإحياء » إلاّ سعيد ولا يهجرها إلاّ شقي مطرود اختار الدنيا على الآخرة والشهوات على العبادات والذنوب والعيوب على ما يقربه إلى علاّم الغيوب، واختار البلوات والظلمات على الأنوار والأذكار والتلاوة[1].

وفي مكاتبة لبعض مريديه كتب ما مثاله: ولكن أشير عليك بقراءة ربع «التنبيه» و« بداية الهداية » والعبادة، أعني العلم النافع

---

(١) المصدر السابق ص٧٦.

الذي يخوفك من الله ويزهدك في الدنيا ويرغبك في الآخرة ويبصرك بعيوب نفسك، وهو علم الغزالي، أعني: ما في « إحياء علوم الدين » وما أشبهها من الكتب[١].

وفي وصية أخرى قال: وبعدُ فليس لنا وللأولين والآخرين من جماهير العلماء بالله والعلماء بأمر الله، ونحن يا بقية الناس والمسلمين والسالكين والزاهدين -أي العارفين- ما لنا طريق ومذهب ومنهاج وصراط سوى الكتاب والسنة، وأعني بالكتاب القرآن، وبالسنة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووارث الشريعة إمام الشافعية، سيد المصنفين السالك طريق سيد المرسلين، وإمام المجتهدين بل إمام المحدثين، بل إمام العلماء المتقين بل إمام الزاهدين، بل إمام الفقهاء بل إمام العارفين المحققين، محيي الدين محمد بن محمد بن محمد الغزالي في كتابه الملقب « أعجوبة الزمان » ، الذي هو تفسير الكتاب والسنة، بل هو الحقيقة، بل هو الطريقة، بل هو المحجة البيضاء والمنهاج الأسنى، بل هو موضع رضا الله، بل هو موضع نظر الله، بل من أحبه وطالعه وعمل به فقد استوجب محبة الله ومحبة رسوله ومحبة ملائكته وأنبيائه ورسله وأوليائه، بل جمع بين

(١) المصدر السابق ص٩٥.

الشريعة والحقيقة في الدنيا والآخرة وصار عالما في الملك والملكوت مذكورا في كلا العالمين، بل لو مثلاً أحيا الله الموتى لما أوصوا الأحياء إلا بما في « الإحياء » يقيناً تحقيقاً، بل جمع العلماء والعقلاء محققون أن رضى الله في كتاب « الإحياء » ظاهرا وباطناً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومحبة « إحياء علوم الدين » ومطالعته تحضر القلب الغافل في لحظة كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج في العفص والماء، فكيف والعمل بما فيه يوصلك إلى مطلوبك في الدارين، وتأثير كتب الغزالي تقربك لمحبة الكتاب والسنة ولمحبة الصحابة ولمحبة التابعين ولمحبة الشافعي ولمحبة العلماء بالله والصوفية ولمحبة الفقهاء العاملين الزاهدين ولمحبة مشايخك ولمحبة قرابتك وعلماء جهتك ولأوائل العلماء الزاهدين وأجدادك العابدين، وبمحبته تحب الصالحين وتحسن الظن بساير المؤمنين والمسلمين، وبمحبة كتبه تحب التابعين وتبغض الظالمين وتشفق على سائر المؤمنين، بل تحصل بمحبته معرفة عيوبك وتبغض دنياك وترغب في آخرتك وتتواضع لإخوانك وتضمحل

دعواك وكذبك ورياؤك وعجبك وجهلك بنفسك[1]. انتهى كلامه ووصاياه.

وكفى أنه قد ألف في «الإحياء» رسالة سماها «البخبخة» وهي إشارة كافية إلى اهتمام الشيخ العيدروس بهذا الكتاب وتحريك همم الطلاب والمريدين باقتنائه ومطالعته والعمل بما فيه، بل صار منذ عهد الامام العيدروس منهج السلوك الراقي، لكافة الراغبين في صعود المراقي، إضافة إلى بقية كتب الغزالي الأخرى كـ«البداية» و«الأربعين الأصل» وغيرها.

آثاره الإعمارية والإصلاحية وإنفاقه في وجوه الخير

كان الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس متربعاً على منصة العلم والعمل والإصلاح والبناء العلمي والعملي مدة حياته كلها في حضرموت ساحلها وداخلها.

وكان أخُوه الشيخ علي قائما على نيابة الأوقاف والمساجد وما إليها من شؤون العلويين كما كان إذ ذاك مؤلف العصر ومؤرخه

(١) المصدر السابق ص١١٠-١١١ .

وأديبه، وهو مع ذلك يمثل الشريعة كما أن أخاه العيدروس يمثل الحقيقة، وبهذا قد اقتسما وراثة عمهما الإمام عمر المحضار[1].

وقد انتظم للإمام العيدروس ما لم ينتظم لغيره من اجتماع الرئاسة الدينية والإصلاحية والدعوة إلى الله، ولذلك قلما يتوجه في وجه من وجوه الإصلاح إلاّ ويصحبه التوفيق والنجاح، لنفوذ كلمته وقبول جاهه واجتماع الناس على إجلاله.

وكان مثالاً عالياً في الجود والسخاء وإكرام الضيوف وإسعاف الفقراء وبناء المساجد والمدارس، قال عنه صاحب « المشرع » : ينفق إنفاق من لم يخشَ الفقر، وكان له نصيب من الاهتمام بالأسباب والعمل الدنيوي، فلم يهمل الزراعة بل قام بها وخاصة في أرضه المعروفة بصُوح، ناحية بلدة بُور، وقد ألجأه عدم وجود البذر الكافي في شرق حضرموت، إلى أن بعث الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير إلى قيدون ناحية دوعن ليأتيه بالبذر الرماد من هناك.

---

(١) نقلاً عن « تاريخ حضرموت » للحامد بتصرف طفيف ص٧٦١.

وللإمام العيدروس مؤلفات مفيدة منها « الكبريت الأحمر » ، وهو أشهرها، وله شرح على قصيدة العارف بالله الشيخ سعيد بالحاف، كما ألف كتاباً في مناقب شيخه سعد بن علي مذحج.

وله رسائل ووصايا وعبارات فخرية وفقرية ذات فوائد جمّة، اعتنى بها صاحب كتاب « الكواكب الدرية في مناقب السادة العلوية » ، وكان يُروى عنه قوله: هل من مبارز في جميع العلوم؟ ويقول: لو شئت أن أصنّف على حرف الألف مئة مجلد لفعلتُ. وقد جمع بعض تلامذته كلامه في مجموع ، مخطوط.

ولعل من أهم ما رسمه الإمام العيدروس من آثاره تثبيت الطريقة العلويّة وترسيخ قواعدها ومزجها بالقواعد الصوفية العالمية من حيثيات « سلوك المريدين وتربيتهم » ، ولهذا صار القائلون من بعده يقولون: طريقتنا في الظاهر غزالية وفي الباطن شاذلية.

والمقصود بذلك أن اختيار الشيوخ لكتب الإمام الغزالي صارت منهجا عمليا في التربية والتنشئة، وأما العلاقات الروحية الباطنة فهي على أساس المنهج الصوفي الشاذلي في الأذكار والحزوب والأوراد.

وقد تناولت كتب التراجم الإسهاب حول تفاصيل حياته وأعماله ومقاماته التي بلغ إليها في الولاية ومراتب القرب من الله، وأطنب

الشعراء في مديحه وذكر مناقبه، ومنهم الفقيه المقرئ المحدث اللغوي جمال الدين محمد بن أحمد باقشير، له في الإمام العيدروس قصـائد طنانة منها قصيدته اللامية، وهي قصيدة مطولة نكتفي فيها بإشارة لطيفة من أبياته:

إلى سَيِّدٍ حُلْوِ الشَّمائلِ طـاهرٍ   لَهُ مَنْصِبٌ فوقَ المناصبِ يَعْتَلِي
جَلِيلٌ جَمِيلٌ سَيِّدٌ وابـنُ سَـيِّدٍ   مَثِيلٌ فَضِيلٌ تاجُ كُـلِّ مُفَضَّـلِ
شَمَائِلُهُ الإحسانُ والجودُ والوفـا   وأخلاقُه القرآنُ يا لك مِن وَلِيْ
لَهُ الحكمُ شأنٌ والشريعةُ مَشْرَعٌ   وعِلْمُ الهدى فَنٌّ ومحبوبُه العَلِـيْ
لَهُ كُلُّ قَلْبٍ بالولايـةِ شـاهِدٌ   وكُلُّ فؤادٍ من مَحَبَّتِـهِ مَلِـيْ
لَهُ لُطْفُ صِدِّيقٍ وهَيْبَةُ فُـاروقٍ   وحِشْمَةُ عُثْمَانٍ وعِلْمُ الفَتَى عَلِي[1]

وصف التراجم لحاله ومقامه

أطنب المترجم في ذكر أحواله وأخباره وصفاته، قال صـاحب «الكواكب الدرية» عنه:

(١) «الكواكب الدرية» ص ١٥٧.

كان جواداً عظيماً سخياً كريماً، حَدِّثْ عن كَرَمِه ولا حرج، ومن لاذ بأعتابه دخلت عليه السعادة من باب الفرج، فكان يعطي عطاء الملوك ويتواضع تواضع الصعلوك، وكان ينفق إنفاق من لا يخشى من ذي العرش إقلالا، ولم يناده الفقير فيجيب إلاّ بهكذا وهكذا وإلاّ فلا، ومات وعليه دين ثلاثون ألف دينار فأداها عنه ولده أبوبكر كما قال: أما ترى أني قضيت دين أبي وكان ذاك ثلاثين ألف دينار.

وكان باذلاً ماله وجاهه لجميع المسلمين لا سيما الفقراء والضعفاء والمساكين، وكان يعامل كل واحد بما يوافق طبيعته، وينزل كل إنسان منزلته يجالس الفقراء بما يناسبهم، ويذاكر الفقهاء بما يوافقهم، يصغي لحديث المتكلم ويقبل عليه، ويظن كل أحد أنه أحب الناس إليه، وكان يحب إظهار النعم الباطنة والظاهرة، فكان يلبس الملابس الفاخرة ويتزوج النساء الحسان، ويسكن الدور المشيدة البنيان، ويركب الدواب المليحة، وكان لشدة تواضعه يعد من الفقراء والمساكين، وحشمته تعلو على حشمة السلاطين، وكانت الملوك تهابه وتخضع لهيبته، وتخشى من عظيم سطوته، وكان

مع ذلك يداريهم ويحسن الكلام لديهم، بل ربما عظ ـم بعضـ ـهم قاصداً قضاء حوائج المسلمين وإصلاح ذات البين.

وكان يقول لأتباعه: خصلتان نفعلها ونحذر أتباعنا منها: السماع ومخالطة الولاة. وكان في أول أمره يكره السماع، ولما توالت عليه المنازلات وتواترت لديه الواردات صار يحضر السماع[1].

وكتب عنه صاحب « المشرع » :

الشهير بالعيدروس أبو محمد حامل لواء العارفين، ومقيم عل ـوم المحققين، مبدي علوم الحقيقة بعد خبوّ أنوارها، ومبين معالم الطريقة بعد خفاء آثارها، ومظهر عوارف المعارف بعد خفائها، فرع روحة العظمة والجلالة وروضة العلم التي سقاها الفيض الإلهي، سلسـ ـبيل الفضل وسلساله، الإمام المقدم على التحقيق، من باسمـ ـه تنشـ ـرح الصدور وتحيا النفوس، وبرسمه تفتخر المحـ ـابر وتهتـ ـز الطـ ـروس، ولسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤوس[2].

وكتب عنه صاحب « الغرر » ص٢٠٢:

---

(١) المصدر السابق ص١٦٥ – ١٦٧ .

(٢) « المشرع الروي » (٢: ٣٤٢).

الشيخ الكبير العارف بالله الشهير العالم العامل الإمـ ـام الفاضـ ـل القدوة الكامل السالك الواصل الجامع بين العلمين الظاهر والباطن الحاوي محاسن الفضائل المتجنب للرذائل، له اليد الطولى في العلـ ـم اللدني والباع الطويل في فنون العلم الرباني، وله تقوى الله مذهب، محلى بالعلم ومتوج بالعمل، فتجلت له المعاني في أشرف الحلل إلخ..

قال فيه الشواف في « قصعة العسل » :

فـ ـيهم معربـ ـد مشـ ـهور العيـ ـدروس المـ ـذكور
ذي عـ ـلا فـ ـوق الطـ ـور حـ ـتى يناجيـ ـه الله
معطـ ـى مـ ـن الله السـ ـر فان شـ ـاف شـ ـي دامـ ـر
يرحمـ ـه وامسـ ـى عـ ـامر صـ ـالح وثابـ ـت لله
له نـ ـور يملـ ـي الافجـ ـاج سـ ـلطان صـ ـيته زعـ ـاج
ألبسـ ـه باريـ ـه التـ ـاج واكليـ ـل مـ ـن نـ ـور الله
العيـ ـدروس الموصـ ـوف قطـ ـب الزمـ ـان المعـ ـروف
بكـ ـل قطـ ـب مشـ ـغوف محبوب هو مـ ـن عنـ ـد الله
بخ بخ لشـ ـيخ السـ ـادات تضـ ـرب لـ ـه الخانـ ـات
وفي المعـ ـالي رايـ ـات بيضـ ـاء تـ ـلالي والله

وفاته

ذكرت كتب التراجم أن الإمام العيدروس كان يتعهد السفر إلى بلاد الساحل حينا بعد حين، ولما دنا أجله تجهز للسفر إلى الشحر وأوصى أصحابه وأحبابه، وقطع ما بينه وبين الناس وألبس ولده أبابكر العدني وحكمه وأجلسه مجلسه ونصبه شيخاً، وقال لبعض أولاده: لن نلتقي في هذه الدار، وبلغ مدينة الشحر على عشرة أيام لأنه كان يقيم بكل قرية مدة من الزمن تطيبيا لخواطر أهلها، وقابله أهل الشحر بكل إجلال واحترام كعادتهم، وأقام بينهم شهرا وبضعة أيام، وكان من عادته أن يقيم بها ليلتي الاثنين والخميس «حضرة الذكر» يحضرها الخاص والعام، فيتكلم على الجميع ويلقي عليهم من علومه وفهومه كل عجيب وغريب.

ثم إنه توجه راجعاً من الشحر لأربع خلون من رمضان، ولما وصل بلدة عَرَف مرض بها فأقام يومين ثم ركب بغلته ورحل، وأمر بالسماع بقصيدة فيها ذكر الشوق والفراق والبعد عن الأوطان، وكان ذاك آخر سماع له، ولما وصل (حسر السمرة) على الطريق أقام يومين وهو يعاني من الرمد، وتقدمت القافلة إلى (عبول) ولم يستطع الإمام العيدروس الركوب فحُمل على الأعناق إلى عبول ،

وهناك نصبوا له الخيمة حيث عرجت فيها روحه الزكية قبل الزوال من يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان سنة ٨٦٥هـ . . وعمره إذ ذاك أربع وخمسون سنة، وعند ذلك حاروا في أمرهم، ثم اتفقوا على حمله إلى مدينة تريم فحملوه عصراً وساروا به ليلاً ونهاراً وبلغوا تريم بين العشائين لأربع عشر خلون من رمضان وخسف القمر تلك الليلة، قال الشلّي: وظَنّ الناس أن القيامة قامت، وجُهِّزَ تلك الليلة وحضر الصلاة عليه خلائق لا يُحصون، وصلى عليه أخوه الشيخ علي بن أبي بكر ولقنه ثم رفع صوته بقوله:

غِبْتُمْ فيا وَحْشَةَ الدنيا بفَقْدِكُمُ فاليومَ لا عِوَضٌ عَنْكُمْ ولا بَدَلُ

ودفن قبل الفجر بمقبرة زنبل، وقبره معروف وعليه قبة مباركة، رحمه الله رحمة الأبرار، وجمعنا به في دار القرار، آمين.

الفهرس